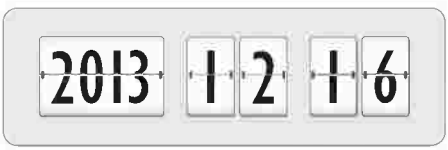

تابعت هيلاري متحدثة عن المشكلات المعيشة في البيت الأبيض تقول: لم تنته المشكلات هناك. الأخطاء كلها الممكنة وقعت للأسف، منذ لحظة محاولتي تحقيق شيء من النظام لحال الفوضى، أوجدت عداوة إذ منعت الصحافة من احتلال مكتب السكرتير الصحفي، كانت ثمة مشكلات متواصلة في وزارة العدل، تعيينات وزارية فاشلة، والنظام التنفيذي الملتبس حول السماح للمثليين بالخدمة في الجيش، ثم كان جهاز العاملين الغارق في الفوضى، فالمسؤولية ضائعة؛ لا أحد مسؤول، لا تركيز، لا نظام، ولا انضباط في الإدارة الرئاسية الجديدة، قال أحد المراقبين إن أعضاء الفريق الكلنتوني جميعهم كانوا يشعرون كما لو كانوا يبحرون بمركب رئاستهم في زحمة عاصفة هوجاء. كنت واحدة من هؤلاء الأعضاء.

حاولت الإمساك بالدفة، لإضفاء شيء من النظام على الوضع، لم يكن أحد سعيدًا بذلك؛ كارل بيرنشتاين– مثلًا – علق قائلًا: إنني، فور وصولي إلى البيت الأبيض، كنت قد أصبحت السيدة الأولى المقاتلة الأولى. من جديد أسألك دكتورة: هل كان ذلك إنصافًا؟ كان البيت الأبيض غارقًا في فوضى عارمة، وكنت الوحيدة التي حاولت إكساب الإدارة قدرًا من النظام، فتعرضت للنقد

بوصمي سيدة أمريكا الأولى المقاتلة الأولى. بعد أسبوعين من كوني سيدة أولى كنت مستعدة للاستقالة!

شيء واحد إيجابي حصل في زحمة الفوضى على أي حال، أو أقله، بدا الأمر لي كذلك في ذلك الوقت؛ أقدم بل على تعييني رئيسة لفريق عمله الخاص بالرعاية الصحية. أنا كما تعلمين دائمة الاهتمام بتوسيع نطاق الرعاية الصحية لاستيعاب الفقراء والمسحوقين من نساء بلدنا وأطفاله، كان نائب الرئيس غور قد طلب من بل تولي رئاسة فريق العمل، إلا أنني اعترضت على تعيينه مقتنعة بأنه كان سيحاول- يقينًا- تشويه البرنامج كله، وبالطبع فإن بل وقف في صفي أنا.

لا أريد الإيحاء بأن أشياء أخرى إيجابية لم تحصل إبان العام الأول؛ وقَّع بل قانون الإجازة الطبية العائلية الذي مكن المستخدمين والموظفين من الحصول على إجازة تصل إلى ثلاثة أسابيع بلا أجر لمعالجة طوارئ عائلية، مباشرة أقدم على قلب سنوات ريغان وبوش الاثنتي عشرة من حجب الدعم الحكومي لبرامج نشر المعلومات حول تنظيم الأسرة، تحديد النسل، أو وضع حد للحمل. هل تستطيعين أن تتصوري أن اثنين من رؤساء جمهورية الولايات المتحدة كانا، في هذا العصر بالذات، على هذه الدرجة من الرجعية؟ مازلت حائرة إزاء بقاء هذه الأعداد الكبيرة من النساء العاجزات عن رؤية ما هو أبعد من أنوفهن اللواتي اقترعن لذينك السيدين المحترمين المتخلفين، النكوصيين. ما الذي منعهن من رؤية أنهما لم يقدما شروى نقير لمصلحتهن، بل لم يكونا مهتمين إلا بخدمة أغراضهما السياسية الخاصة؟

رغم سلسلة المآزق مع الجمهوريين في جُل القضايا، نجح بل في مشروعين كبيرين آخرين؛ فحين كان حاكم ولاية في عام 1985م، دعا إلى إعادة نظر شاملة بنظام الرخاء لتشجيع العمل، وفي حملته عام 1992م وعد بـ (إنهاء الرخاء كما نعرفه)، وحين وافق الكونغرس على صيغة أقسى من اقتراحه

في عام 1996م، بادر إلى توقيعها وجعلها قانونًا رغم اعتراضات كثيرين من إدارته وحزبه بالذات. مارس بل حق النقض ضد تدبيرين سابقين كانا أقسى وأثقل وطأة؛ حصر القانون معونة الرخاء مدى الحياة بخمس سنوات، وطالب المستفيدين الراشدين بالعمل بعد عامين من التعويل على معونة الرخاء.

في عام 1997م، نجح بل في اجتراح صفقة حل وسط مع الكونغرس تضمنت تخفيضات ضريبية وإنفاقية هادفة إلى تعديل الموازنة، وتمخض التشريع أيضًا عن إطلاق برنامج ضمان صحي جديد للأطفال مد تغطية المعونة الصحية إلى ملايين أطفال الأسر ذات الدخل المتدني والمتوسط، كنت بالغة الاعتزاز به؛ ذلك هو الرجل الذي كنت قد اقترنت به زواجًا، كذلك وقع جملة تدابير متمتعة بموافقة الحزبين فأصبحت قانونًا ينظم مكافحة الإرهاب، بما فيه تخصيص المزيد من الاعتمادات لمحاربة الإرهاب وترحيل الأجانب المشتبه بكونهم إرهابيين.

كنت بالغة السعادة بحصولنا أخيرًا على رئيس كان مهتمًّا بصدق بشعب بلده، مهما كانت عيوبه، وهي كثيرة كما نعلم.